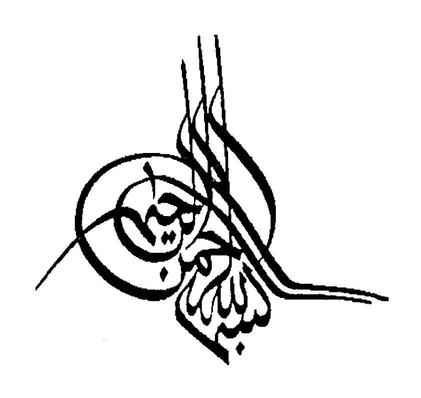
نساء حول الرسول ﷺ

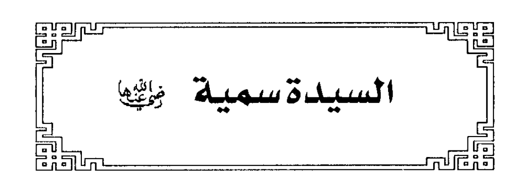
سمية بنت خباط رضي الله عنها

أول شهيدة فى الإسلام

محمد عبده

مكتبة الإيمان
ت/ ٢٢٥٧٨٨٢





*** قصة العبودية :**

السيدة سمية بنت خُبَّاط رضى الله عنها يا أحباب كانت فتاة صغيرة يملكها رجل يسمى أبا حذيفة بن المغيرة، نعم لقد كانت عبدة سمراء فى بيت رجل كريم.

وكان بالسيدة سمية رضي الله عنها صبر طويل، وعقل وفكر سديد رغم أنها كانت عبدة ، وقد تميزت بجمال رقيق يبعث السرور فى النفس ، فالفتاة السمراء لا يشترط أن تكون منزوعة الجمال، وربما يكون سمار وجهها هذا جزء من جمالها ، لذلك كانت مفضلة عند سيدها أبى حذيفة ، فكان يكرمها ويشعر أنها فتاة تستحق كل احترام ، وتقدير .

وفى يوم من الأيام جاء ضيف على أبى حذيفة

وتحدث معه حديثا طويلا ، وكانت السيدة سمية تستمع إلى هذا الحديث ، فتعالوا يا أحباب نقرأ هذا الحديث الطويل.

*** الضيف يخبر بقصته :**

كما قلنا يا يأحباب جاء ضيف إلى أبى حذيفة وجلس معه فى حضور السيدة سمية رضى الله عنها .

وقال هذا الضيف : يا أبا حذيفة أنا ياسر بن عامر العنسى ، جئت أنا وأخوتى من اليمن ونريد أن نكون فى حمايتك وجيرتك فإنا سمعنا عنك الكثير والكثير وعلمنا أنك من خير رجال العرب تكرم الضيف، وتحميه، فهل تقبل حمايتنا وجيرتنا؟

فقال أبو حذيفة : مرحبا بك يا أخا العرب، فأنت فى دارك .

فقال ياسر رضى الله عنه : ما خاب ظننا فيك يا أبا حذيفة .

فقال أبو حذيفة : أنت من أهلى وعشيرتى ، وكل أهل قريش سيعلم ذلك ، ولكن أخبرنى بقصتك .

فقال ياسر رضى الله عنه : إنى لى أخ صغير خرج من دارنا ولم يعد إلى الآن فبحثنا عنه فى أماكن كثيرة ، وعندما فقدنا الأمل جلست أنا وأخوتى ، نتشاور فيما بيننا هل سنكف عن البحث أم سنواصل ؟! ، واهتدينا إلى الحل الصواب بعد تفكير طويل ومشاورة .

فقال أبو حذيفة : وما هو هذا الحل يا ياسر؟!

قال ياسر رضى الله عنه : اهتدينا إلى أن نجلس فترة فى قريش وأهلها ، ونحن نعلم أن الناس يأتون إليها للحج والتجارة ، فإن جلسنا فيها سألنا عن أخينا كل من يقدم للتجارة أو الحج .

فقال أبو حذيفة : نعم الرأى هذا يا ياسر وأعجبت السيدة سمية رضى الله عنها ، بكلام سيدنا ياسر رضى الله عنه ، وأدركت فيه الحكمة وحسن الرأى، ورأت أنه

نعم الرجل المحب لأهله، الحريص عليهم.

وعندما أراد سيدنا ياسر رضى الله عنه الانصراف، نظر إلى السيدة سمية رضي الله عنها، فأحس ناحيتها بشعور غريب ، فلقد رأها فتاة سمراء ولكنها جميلة عليها بشاشة، وفى وجهها إشراق غريب ، فأعجب بها ، ولكنه انصرف للغرض الذى جاء لأجله.

*** الزواج المبارك :**

انصرف سيدنا ياسر رضى الله عنه من عند أبى حذيفة ولكن صورة السيدة سمية رضى الله عنها لا تزال أمامه تكاد لا تفارقه أبدا ، ولكنه يحاول أن يبحث عن أخاه بكل جد واجتهاد ويسأل كل من يقابله قادم للتجارة والحج.

وبعد فترة يئس إخوته فطلبوا منه الرجوع إلى اليمن فلم يعد هناك حاجة للبقاء فى مكة .

فرفض سيدنا ياسر رضى الله عنه الرجوع إلى اليمن وقال: سوف أبقى فى مكة وإن شئتم الرحيل فارحلوافأعد إخوة سيدنا ياسر رضى الله عنه لوازم السفر، ثم سافروا وتركوه بمفرده فى مكة .

وكان سيدنا ياسر رضى الله عنه يتودد إلى أبى حذيفة ويجلس معه كثيرًا ، فلاحظ أبو حذيفة ميل سيدنا ياسر رضى الله عنه إلى سمية رضى الله عنها.

فقال له : يا ياسر إن شئت أعتقتها «أى جعلتها حرة» وزوجتك إياها .

فقال سيدنا ياسر رضى الله عنه : نعم الرجل أنت يا أبا حذيفة فقد كنت أفكر فى الزواج منها.

ففرح أبو حذيفة لذلك ، وأعتق السيدة سمية رضى الله عنها وصارت حرة لأول مرة فى حياتها، وأخذت تعد العدة لهذا الزواج المبارك.

وجهز سيدنا ياسر رضى الله عنه بيتا جميلا حتى

يستقبل عروسته ، وكان هذا البيت بجوار الرجل صاحب الفضل أبى حذيفة ، وبعد فترة من الزواج المبارك أنعم المولى عز وجل على العروسين فأنجبا عمار ، ثم رزقهما بعد ذلك ابنهما الثانى عبد الله ، وعاشت هذه الأسرة فى سعادة شديدة ، فالأب رجل من اليمن طيب القلب عطوف.

والأم السيدة سمية رضى الله عنها امرأة ذات حكمة وعقل، وهى أيضا نعم الأم الحنون ، والزوجة الودود.

فتربى الأبناء خير تربية وزرع فيهما حب العدل ، ومكارم الأخلاق والمسارعة إلى الخير وبغض الشر وأهله وظلت هذه الأسرة على هذا الحال فترة طويلة جدًا.

*** إسلام الأسرة الطيبة المباركة :**

كما قلنا يا أحباب أن السيدة سمية رضى الله عنها ربت ابنيها على حب الخير ، ومكارم الأخلاق.

وجاء سيدنا محمد ﷺ بالإسلام وأخذ ينشره بين الأهل والأقارب فسمع بأمر الإسلام سيدنا عمار رضى

الله عنه ابن السيدة سمية رضى الله عنها ، فأصر على معرفة الإسلام ، وهو يعلم أن سيدنا محمد ﷺ هو الصادق الأمين الذى لا يكذب ، ولكنه لم يسمع منه شىء عن الإسلام فرأى أن يتكلم معه فى هذا الأمر .

فذهب سيدنا عمار رضى الله عنه إلى مقابلة رسول الله ﷺ فوجد صهيب بن سنان الرومى ذاهب هو أيضا، فقال سيدنا عمار رضى الله عنه : أين تريد يا صهيب ؟

فقال : أريد أن أدخل إلى محمد فأسمع منه، ما يدعو إليه.

فقال سيدنا عمار رضى الله عنه : وأنا أريد ذلك.

فدخلا على سيدنا محمد ﷺ ، فرحب بهما وأمرهما بالجلوس فجلسا ، ثم بدأ سيدنا محمد ﷺ يعرض عليهما الإسلام ، وتلا عليهما بعض من آيات المولى عز وجل ، فأسلما .

ثم عاد سيدنا عمار رضى الله عنه إلى البيت واجتمع

بأسرته وقال لهم : إن سيدنا محمد ﷺ جاء بدين يدعو إلى عبادة الله الواحد الأحد، وينهى عن عبادة الأصنام التى لا تنفع ولا تضر ، دين يأمر بالعدل والإحسان والمسارعة إلى الخير ، وينهى عن السوء والفحشاء والمنكر والشر ، ثم تلا عليهم الآيات التى حفظها من سيدنا محمد ﷺ فسارعت هذه الأسرة الكريمة إلى الدخول فى الإسلام وعندما علم سيدنا محمد ﷺ بذلك فرح فرحا شديداً .

*** الاستشهاد فى سبيل الله :**

السيدة سمية رضى الله عنها ليست من سادة القوم، وزوجها ياسر رضى الله عنه كان فى حماية أبى حذيفة، ولكن أبا حذيفة قد مات إذا فهى أسرة ليس لها حماية فى قريش .

وعندما انتشر أمر الإسلام فى قريش جلس أهل قريش للمشاورة .

فقال بعضهم : إن محمدا ﷺ قد انتشرت دعوته بين الناس وأفسد علينا العبيد والإماء، وهدد تجارتنا ، ونحن نعتمد على قدوم الحجاج وبيع الأصنام ، وهو ينهى عن عبادتها ويأمر الناس بعبادة إله واحد، فماذا نفعل؟!

فيرد عدو الله أبو جهل : يجب أن نعذب أتباع محمد ﷺ ونذيقهم البأس حتى يرجعوا عن هذا الدين، ويعودوا مرة أخرى إلى عبادة الأصنام ، وعندما سيرى أهل قريش ذلك سوف يفكر الواحد منهم ألف مرة قبل دخول هذا الدين .

وبالفعل بدأ أهل قريش فى تعذيب كل من دخل الإسلام وليس له حماية فى قريش ، وبالطبع أخذوا سيدنا ياسر ، وزوجته «سمية» وابنيهما رضى الله عنهم جميعا، وأخذوا فى عذابهم.

وكان النبى ﷺ يمر عليهم وهم يعذبون ويرى هذه الأسرة المؤمنة كلها تعذب فيقول لهم : «صبراً آل ياسر

فإن موعدكم الجنة ».

فيزدادوا إيمانا إلى إيمانهم ، وإصرارا على الصمود أمام هؤلاء الطغاة .

وازداد العذاب على سيدنا ياسر رضى الله عنه وكان رجلاً عجوزًا هو وزوجته السيدة سمية رضى الله عنها، وعندما ازداد العذاب عليه قال للسيدة سمية رضى الله عنها: يا سمية إنى أشم رائحة لم أشمها من قبل ، رائحة طيبة ينشرح لها صدرى، وأشعر أنى أقترب على أمر جميل لست أدرى ما هو .

فتقول له السيدة سمية رضي الله عنها : وسط كل هذا العذاب تقول ذلك ، ألا تشعر بالألم.

فيقول لها : نعم أنا أشعر بالألم ولكن أشعر أيضا بما أقوله لك يا سمية ، وإنى لأرى أن هذه الرائحة هى رائحة الجنة.

فقالت السيدة سمية رضى الله عنها : إن كان

كـذلك يا ياسر فوالله ما أجمل الموت فى سبيل الله يا أبا عامر .

وبعد فترة من ازدياد التعذيب مات سيدنا ياسر رضى الله عنه ، ولكن السيدة سمية رضى الله عنها لم تحزن عليه حزنا شديدا ، لأنها اطمأنت عليه قبل موته وشعرت أنه مقبل على الله وأن جزاء صبره على هذا العذاب سيكون الجنة إن شاء الله .

وكان يثبتها على موقفها . مرور رسول الله ﷺ وقوله لهم : « صبرا أبا اليقظان ، صبرا آل ياسر ، فإن موعدكم الجنة ».

وكان ابنهما يكوى بالنار أو يوضع عليه الحجارة فتقول له : تثبت يا بنى فأنت على الحق واستبشر بالجنة، وإن أبوك قد سبقنا لها إن شاء الله.

أرأيتم الأم القوية المؤمنة كانت ترى ابنها فى شدة العذاب وهى عجوز تعذب أيضا ولكنها تثبته وتقوى من

عزيمته حتى يثبت فى وجه الكفرة المعتدين فيفوز بالجنة إن شاء الله .

اغتاظ أبو جهل عدو الله ، من هذه المرأة ورأى أن يضع حلا لها فأخذها ، ولم يرحمها ، لقد رأها عجوزا لا تتحمل ومع ذلك تولى عذابها بنفسه حتى تعود إلى الكفر وتترك الإسلام ، ويفوز هو وينتصر عليها.

ولكن السيدة سمية رضى الله عنها ، كانت تتحمل وتصبر ، وكلما زاد العذاب عليها تقول : الموت فى سبيل الله أكرم عندى ، الموت فى سبيل الله جزاءه الجنة يا عدو الله.

فيغتاظ أبو جهل ويزيد من تعذيبه لهذه المرأة الصابرة فتتذكر كلام زوجها سيدنا ياسر رضى الله عنه حين قال لها: يا سمية إنى أشم رائحة لم أشمها من قبل، رائحة طيبة ينشرح لها صدرى ، وأشعر أنى أقترب على أمر جميل لست أدرى ما هو .

عندما تتذكر هذا الكلام تتيقن أن المصير إلى الجنة إن شاء الله ، إن هى ماتت فى سبيل الله ، وبالفعل لقد شمت السيدة سمية رضي الله عنها هذه الرائحة، وأدركت أنها تقترب من أمر عظيم.

وفى هذه اللحظة ، ازداد غضب عدو الله أبو جهل وحمل الرمح وضرب به هذه المرأة العظيمة فسال دمها الطاهر على ملابسها ثم سقطت على الأرض لتكون أول شهيدة فى سبيل الله.

ارتضت الموت على أن تترك هذا الدين ، ارتضت الموت فى سبيل الله حتى تفوز بالجنة وتحيا حياة طيبة فى الآخرة ، كما وعد ربنا عز وجل الشهداء وذلك فى قول الحق تبارك وتعالى : ﴿ **وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ (١٦٩) فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِم**

مِّنْ خَلْفِهِمْ أَلاَّ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ (١٧٠) يَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ وَأَنَّ اللَّهَ لا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُؤْمِنِينَ (١٧١)﴾ [آل عمران: ١٦٩ ـ ١٧١].

فرحمة الله عليها السيدة سمية رضي الله عنها خير مثال للشجاعة والصبر والتضحية والفداء، والتمسك بالدين وأخيرًا أرجو من الله يا أحباب أن يكون من فتياتنا سمية مرة أخرى اللهم آمين.

